للإحاطة بسمات الشخصية المصرية والوصول إلى مفاتيحها كان ثمة احتياج إلى منهجية شاملة ومحكمة للوصول إلى رؤية علمية بعيدة – قدر الإمكان – عن التحيزات العاطفية

(الإيجابية أو السلبية) خاصة فى موضوع يمس الذات الشخصية والوطنية، ويخضع للكثير من وجهات النظر المتباينة والممثلة لزوايا الرؤية أو اتجاهات المصالح أونبضات المشاعر. وقد كانت الرؤى المطروحة نتاجا للعناصر التالية فى البحث والدراسة:

١ – الدراسات العلمية السابقة والحالية التى تعرضت للشخصية المصرية وما حدث فيها من تحولات

٢- ملاحظات وآراء المفكرين والعلماء

٣ – الملاحظة المشاركة للباحث لكونه مواطنا مصريا يعيش الحياة اليومية المصرية ويرصد بعين المتخصص فى العلوم النفسية السمات النفسية للمصريين. وقد ساعد على تحقيق هذا الهدف بشكل أدق كون الباحث قد عايش مجتمعات وشخصيات مختلفة إبان إقامته خارج مصر لمدة تصل إلى تسع سنوات يضاف إليها فترات إضافية أخرى متقطعة، وقد أعطاه هذا فرصة للمقارنة والرؤية من خارج، إضافة إلى رؤيته من الداخل، وهاتان الزاويتان للرؤية جعلا الفوارق تتضح وتغلب على ضياع المعالم الناتج عن الألفة والتعود لمن يعيش طول الوقت فى المجتمع ولم يغادره إلى غيره. والباحث بوصفه ملاحظا مشاركا لديه فرصة القراءة عن قرب من خلال عمله كطبيب نفسى (يرى الوجه الخفى للناس من خلف الدفاعات المعلنة والأقنعة الساترة والخادعة) وعضو هيئة تدريس فى الجامعة (مما يعطيه فرصة للرؤية العامة والدراسة المنهجية الموضوعية بأقل قدر ممكن من التحيز).

٤ – الرؤية الحالية للشخصية المصرية تشكل أولوية بمعنى أننا فى هذه الدراسة نهتم أكثر بما هو كائن وليس بما كان، ولو تكلمنا عن شئ فى الماضى فإنما يكون بهدف شرح أو تفسير سمة قائمة وبيان جذورها وتطورها دون الغرق فى سراديب الماضى

٥ – الأمثال الشعبية والأقوال الدارجة على ألسنة رجل الشارع تمثل رصيدا معرفيا هاما نستطيع أن نتوصل من خلاله إلى فلسفة حياة البسطاء من الناس وعامتهم، لذلك تم رصدها وتحليلها فى مواضعها لتأكيد الصورة وإيضاحها.

***